كتابات مصرية
مناهضة للصهيونية والتطبيع

شكلت زيارة السادات للقدس المحتلة، في أواخر عام ١٩٧٧، وما ترتب عليها من نتائج وآثار، نقطة انعطاف حاسمة في تاريخ شعب مصر، وككل الأحداث «التاريخية!»، كان لها انعكاساتها المباشرة على مسار الحركة السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية في البلاد، وفي مواجهة هذه «الذروة» في الفعل الساداتي، المرتبط بالسياسات والمصالح الامبريالية (الاميركية أساساً) والصهيونية، تحددت مواقف القوى والاتجاهات السياسية المؤيدة، والمعارضة، والوسطية. وكان المثقفون المصريون، كعادتهم، من بين الفئات الأكثر حساسية للخطوة الجديدة، وتأثراً بها من حيث السلب والايجاب. لقد ساعد هذا الحدث البالغ الأهمية (الزيارة وملحقاتها) على دفع عمليه «الاستقطاب» في صفوف مثقفي مصر خطوات حاسمة للأمام؛ الأمر الذي طور أساليب وأشكال الصراع بينهم، وبين النظام وأجهزته، إلى مستوى غير مسبوق طوال السنوات المتوترة التي كانت قد انقضت من يوم أن استولى السادات على السلطة منفرداً، بانقلاب ١٥ أيار (مايو) ١٩٧١. فمنذ ذلك الزمن، كانت المعسكرات آخذة في التبلور، والتخوم بين الصفوف الوطنية، والمتخاذلة بادئة في التحديد... ومع كل يوم يمر، كانت ملامح السلطة الطبقية الجديدة تتضح أكثر فأكثر، وهو ما كان يعني المزيد من مسببات الفصل بين المعسكرين، نظراً لتباعد المصالح والطبقات والفئات المعبر عنها.

على هذه الخلفية، كان بوسع المراقب لمواقف المثقفين المصرين بعد الزيارة، أن يلحظ ذلك الانقسام البيِّن في مواقعهم، وأساساً، إلى قسمين كبيرين.

الأول هو القسم الموالي للنظام، المرتبط باستمراريته، والمستفيد من نتائج خططه السياسية والاقتصادية، وبالذات من انتهاجه لسياسة الانفتاح الاقتصادي في الداخل، والارتباط باميركا والغرب والكيان الصهيوني في السياسة الخارجية، وقد انبرى هذا الجناح بقوة لشد أزر السادات وأركانه في معركتهم من أجل تحرير اتفاق الصلح الساداتي ــ الصهيوني بكافة التزاماته، وركز هذا الجناح كل قواه من أجل تقديم المبررات السياسية والاقتصادية والفكرية والتاريخية لطي صفحة الصراع مع «اسرائيل»، وبدء عهد «الأخوّة» و«السلام»، ومن أجل بناء الأساس المادي لانتصار فكرة «التطبيع» المصري ــ الصهيوني، وقد تمثل هذا القسم بصورة رئيسية في قطاع من البيروقراطية المكتبية، وشرائح من التكنوقراطيين المرتبطين بالسياسات الاقتصادية الجديدة، وعدد من الكتّاب والصحافيين اليمينيين (كان بعضهم قد تعرض لأنواع شتى من الادانات في المراحل الوطنية المنصرمة)، وفي قيادات بعض النقابات المهنية، كنقابة المهندسين التي استولى على رئاستها الرأسمالي الكبير وصهر السادات، عثمان أحمد عثمان، وكذلك ضم هذا القسم العديد من الرموز السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتساقطة، وبعضهم كان ذا حظوة في المرحلة السابقة.